نشأة علم الأنثروبولوجيا وجذورها التاريخية

تمهيد

الهدف :تعريف الطلبة بجذور الفكر الأنثروبولوجي

تُعد الأنثروبولوجيا، أو علم الإنسان، من العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تسعى إلى فهم الإنسان في جميع أبعاده، سواء البيولوجية أو الثقافية أو الاجتماعية .يهدف هذا العلم إلى دراسة التنوع البشري عبر الزمان والمكان، وكيفية تشكيل الثقافات والمجتمعات وتطورها .تُقدم هذه المحاضرة نظرة معمقة على نشأة علم الأنثروبولوجيا وجذوره التاريخية، مستعرضة أبرز المراحل والشخصيات التي أسهمت في بلورة هذا التخصص الأكاديمي.

الجذور الفكرية المبكرة للأنثروبولوجيا

لم تظهر الأنثروبولوجيا كعلم مستقل إلا في العصور الحديثة، لكن جذور التفكير الأنثروبولوجي تمتد إلى الحضارات القديمة .فمنذ آلاف السنين، حاول الإنسان فهم نفسه والآخرين، وتسجيل ملاحظاته حول الاختلافات الثقافية والاجتماعية.

الفكر اليوناني القديم:

يُعتبر المؤرخ اليوناني **هيرودوت** (القرن الخامس قبل الميلاد) أحد الرواد الأوائل في هذا المجال .فقد قام بوصف دقيق لعادات وتقاليد الشعوب التي زارها، مثل المصريين والفرس والسكثيين، في كتابه الشهير "تاريخ هيرودوت ."كانت ملاحظاته تمثل محاولة مبكرة لفهم التنوع الثقافي، على الرغم من أنها كانت تفتقر إلى المنهجية العلمية الحديثة .[1]

الإرهاصات الأولى: من هيرودوت إلى ابن خلدون – البدايات الفلسفية للفكر الأنثروبولوجي

قبل أن تتشكل الأنثروبولوجيا كعلم حديث في القرن التاسع عشر، كان الإنسان موضع تأمل وتساؤل في الفكر القديم. فمنذ العصور الإغريقية، حاول الفلاسفة فهم طبيعة الإنسان ومكانته في العالم، وهي الأسئلة نفسها التي ما زال علم الأنثروبولوجيا يسعى للإجابة عنها اليوم، ولكن بأدوات ومنهجيات علمية.

هيرودوت: أول من كتب عن ثقافات الشعوب

يُعدّ **هيرودوت (484–425 ق.م)** من أوائل من وصفوا عادات الشعوب وسلوكها، خاصة أثناء رحلاته إلى **مصر وفارس** ومناطق أخرى من الشرق الأدنى. في كتابه الشهير *التواريخ*، لم يكتفِ بسرد الأحداث، بل سجّل بدقة **ملاحظاته عن العادات، والمعتقدات، وأنماط الحياة** في تلك الشعوب.

فعلى سبيل المثال، لاحظ أن المصريين يختلفون عن الإغريق في طقوسهم الدينية والجنائزية، فبدلاً من حرق الجثث كما يفعل الإغريق، كانوا يقومون **بتحنيط الموتى**، وهو ما فسره هيرودوت باعتباره دليلاً على "احترام المصريين للجسد بعد الموت."

بهذا، يمكن اعتبار هيرودوت أول من مارس شكلاً بدائياً من **العمل الميداني الإثنوغرافي**، أي ملاحظة الشعوب ووصف ثقافاتها ميدانياً.

أفلاطون: المجتمع المثالي والتنظيم الاجتماعي

في كتابه *الجمهورية*، قدّم **أفلاطون (427–347 ق.م)** تصورًا عن **العدالة والمجتمع المثالي**.

تحدّث عن تقسيم المجتمع إلى ثلاث فئات:

- الفلاسفة (العقل)

- المحاربون (الشجاعة)
- الحرفيون والمزارعون (الرغبة)

لكل فئة وظيفة محددة تضمن توازن المجتمع واستقراره: هذه الفكرة تذكّرنا اليوم بمفهوم **الوظيفية في الأنثروبولوجيا**، الذي يرى أن كل جزء من المجتمع يؤدي دوراً ضرورياً لاستمرار النظام الاجتماعي.وكان أفلاطون ينظر إلى المجتمع ككائن حيّ مترابط الأجزاء – وهي نظرة ستُصبح جوهر **الأنثروبولوجيا الاجتماعية** في القرن العشرين.–

ابن خلدون: من العمران البشري إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية

ثم يأتي **ابن خلدون (1332–1406م)**ليحدث نقلة فكرية غير مسبوقة في فهم الإنسان والمجتمع. في *المقدمة*، وضع ما يمكن تسميته اليوم بـ **نظرية اجتماعية شاملة** عن تطور المجتمعات، سماها علم العمران البشري، وهو أقرب ما يكون إلى الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع معًا. كان ابن خلدون أول من درس القوانين التي تحكم سلوك الجماعات البشرية، بعيدًا عن التفسيرات الدينية أو الأسطورية. فقد رأى أن "العصبية "أي روح التضامن والتكاتف – هي القوة المحركة وراء قيام الدول والحضارات، وأن ضعفها يؤدي إلى سقوطها.

مثال توضيحي: شبّه ابن خلدون المجتمعات البدوية بالإنسان في شبابه: قوي، متماسك، بسيط في حاجاته، بينما شبّه المجتمعات الحضرية بالإنسان في شيخوخته: مترف، ضعيف العصبية، ومعرّض للانهيار. وهذه المقارنة الحية تُظهر عبقريته في تحليل الديناميات الاجتماعية عبر مراحل تطورها.كما فرّق بين الثقافة البدوية والثقافة الحضرية، في ما يشبه لاحقاً تمييز الأنثروبولوجيين بين "المجتمعات التقليدية" و"المجتمعات الحديثة." لقد أدرك أن البيئة ونمط المعيشة يؤثران في الشخصية والسلوك، وهي فكرة قريبة من مفاهيم الأنثروبولوجيا البيئية الحديثة.

مثال مقارن: ما لاحظه ابن خلدون حول العصبية يمكن مقارنته بما لاحظه الأنثروبولوجي **رادكليف براون** حول "التضامن الاجتماعي" في القبائل الإفريقية، إذ كلاهما يرى أن المجتمع يقوم على روابط داخلية تحافظ على تماسكه.

خلاصة :

- **هيرودوت** :مهّد للأنثروبولوجيا الوصفية من خلال الرحلات والملاحظة الميدانية.
- **أفلاطون** :قدّم أول تصور عن التنظيم الاجتماعي والوظائف داخل المجتمع.
- **ابن خلدون** :صاغ نظرية مبكرة عن التطور الاجتماعي وديناميات التغيير الثقافي.

وبهذا، فإن جذور الأنثروبولوجيا ليست حكرًا على الفكر الغربي الحديث، بل تمتد إلى التراث الإنساني والفكر العربي الإسلامي، حيث سبق ابن خلدون بعقود طويلة من الزمن علماء الغرب في تحليل المجتمع بوصفه نظامًا متغيرًا تحكمه قوانين إنسانية واجتماعية.

3.من الاكتشافات الجغرافية إلى بداية التفكير الأنثروبولوجي

المرحلة التي اكتشف فيها الإنسان "الآخر"

مع نهايات العصور الوسطى وبدايات القرن الخامس عشر والسادس عشر، انطلقت موجة الاكتشافات الجغرافية الكبرى التي غيّرت نظرة الإنسان إلى العالم ونفسه. فقد قاد المغامرون الأوروبيون مثل كريستوفر كولومبوس وفاسكو دا غاما وماجلان رحلاتهم عبر

البحار، فاكتشفوا عوالم جديدة في إفريقيا وآسيا والأمريكيتين. لكن الأهم من هذه الاكتشافات الجغرافية كان الاكتشاف الأنثروبولوجي غير المقصود: أي اكتشاف التنوع البشري والثقافي.

ولأول مرة، واجه الأوروبيون مجتمعات تختلف عنهم في المظهر، اللغة، العادات، المعتقدات وحتى في أنماط التفكير.

وقد أثار هذا التنوع أسئلة فلسفية عميقة:

هل البشر جميعًا متساوون رغم اختلاف ثقافاتهم؟

هل "الآخر" إنسان مثلنا أم أدنى مرتبة؟

وكيف يمكن فهم هذا الاختلاف دون أحكام مسبقة؟

هذه التساؤلات كانت البذرة الأولى لظهور الفكر الأنثروبولوجي بمعناه الحديث.

🌐الأمثلة التوضيحية

◆**المثال الأول** :***مونتاني (1533–1592) – المساواة الثقافية بين الشعوب***

الفيلسوف الفرنسي ميشيل دي مونتاني في كتابه الشهير *المقالات(Essais)* ، كتب مقالة بعنوان "عن أكلة لحوم البشر "بعد سماعه قصصاً عن قبائل البرازيل التي واجهها المستكشفون الأوروبيون.

رفض مونتاني النظرة الأوروبية التي وصفت تلك الشعوب بـ"الهمجية"، وقال عبارته الشهيرة:

"كل إنسان يسمي بربريًا ما ليس من عاداته". بهذه الجملة البسيطة، وضع الأساس لفكرة النسبية الثقافية التي ستصبح لاحقًا محورًا رئيسيًا في الأنثروبولوجيا الحديثة عند فرانز بواس.

لقد رأى مونتاني أن كل ثقافة لها منطقها الداخلي ومعاييرها الخاصة، وأننا لا نستطيع الحكم على ثقافة أخرى من خلال معاييرنا الخاصة.

◆**المثال الثاني** :***جان جاك روسو (1712–1778) – الإنسان الطبيعي***

يأتي بعد مونتاني المفكر الفرنسي جان جاك روسو، الذي تناول في كتابه *خطاب في أصل التفاوت بين الناس* مفهوم ''الإنسان الطبيعي.''

رأى روسو أن الإنسان في حالته الأولى كان بسيطًا، خيّرًا، متصالحًا مع الطبيعة، وأن ما أفسده هو الحضارة والمجتمع اللذان جلبا التفاوت والأنانية.

قال روسو" :الإنسان يولد حرًا، لكنه في كل مكان مكبّل بالأغلال".

هذه الفكرة أحدثت ثورة فكرية لأنها قلبت النظرة الأوروبية التقليدية التي كانت ترى الشعوب ''البدائية'' ناقصة، فجعلت منها نموذجًا للبراءة الأصلية.

ومن هنا بدأت الأنثروبولوجيا الفلسفية ترى في الشعوب الأخرى مرآة لفهم الإنسان نفسه، لا موضوعًا للاحتقار أو الاستعلاء.

"هل يمكننا اليوم أن نجد هذا الإنسان الطبيعي الذي تحدث عنه روسو؟ أم أن العولمة جعلت كل الثقافات متشابهة؟"

الربط بالفكر الأنثروبولوجي الحديث

ما فعله مونتاني وروسو في القرن السادس عشر والثامن عشر هو تحويل ''الدهشة من الاختلاف'' إلى تساؤل علمي وإنساني.

لقد مهدت أفكارهما الطريق لعلماء القرن التاسع عشر مثل تايلور ومورغان الذين حاولوا تفسير هذا التنوع بأسلوب علمي.

- مونتاني مهّد لمفهوم النسبية الثقافية الذي سيُعيد إحياؤه فرانز بواس.
- روسو مهّد لفكرة الإنسان قبل الحضارة، التي ألهمت الأنثروبولوجيا التطورية في البحث عن ''الإنسان الأول'' ومراحل تطوره.

4. نشوء الأنثروبولوجيا كعلم في القرن التاسع عشر

خلال القرن التاسع عشر، بدأت الأنثروبولوجيا بالانفصال عن الفلسفة وعلم الاجتماع لتصبح علماً قائماً على المنهج العلمي والملاحظة الميدانية.

ساهمت ثلاثة اتجاهات رئيسية في تأسيسها:

أ. الأنثروبولوجيا التطورية

- إدوارد تايلور (1832–1917) في كتابه *الثقافة البدائية (Primitive Culture, 1871)* قدّم أول تعريف علمي للثقافة، ورأى أن المجتمعات تمر بمراحل تطور من البدائية إلى المدنية.
- لويس مورغان (1818–1881) في *المجتمع القديم (Ancient Society, 1877)* درس البنى العائلية والقرابية بوصفها مراحل في تطور الإنسان الاجتماعي.

ب. الأنثروبولوجيا الوصفية والإثنوغرافية

- فرانز بواس (1858–1942) رفض الفكرة التطورية، مؤسسًا لما يعرف بـ''النسبية الثقافية''، ودعا إلى دراسة كل ثقافة في سياقها الخاص من خلال الملاحظة الميدانية الدقيقة.
- بواس أسس المدرسة الأمريكية، وكان من أبرز تلاميذه مارغريت ميد وروث بنيديكت.

ج. الأنثروبولوجيا الوظيفية

- برونيسلاف مالينوفسكي (1884–1942) مؤسس المدرسة الوظيفية، رأى أن كل عنصر في الثقافة يخدم وظيفة للحفاظ على تماسك المجتمع.
- عمله الميداني في جزر تروبرياند وضع أسس البحث الإثنوغرافي الميداني الحديث.

5. تطور الأنثروبولوجيا في القرن العشرين

من علم يبحث عن "أصل الإنسان" إلى علم يدرس "تنوعه الإنساني"

خلال القرن العشرين، انتقلت الأنثروبولوجيا من الاهتمام بالمراحل التطورية المبكرة للإنسان (كما في القرن التاسع عشر) إلى الاهتمام **بالحياة الإنسانية في حاضرها** —أي بكيفية تفكير الناس وتنظيمهم لمجتمعاتهم وثقافاتهم. وقد أدّى هذا التحول إلى **تخصّص الأنثروبولوجيا في أربعة فروع رئيسية**، عُرفت مجتمعة في المدارس الأمريكية باسم **الأنثروبولوجيا بأبعادها الأربعة The Four Fields of Anthropology**).

أولاً: الأنثروبولوجيا الاجتماعية رائدها: ألفريد رادكليف براون (1881–1955)

تركّز الأنثروبولوجيا الاجتماعية على دراسة **البُنى والعلاقات الاجتماعية**، أي كيفية تنظيم الناس لمجتمعاتهم، وكيف تعمل المؤسسات (كالأسرة، والدين، والاقتصاد، والسياسة) على الحفاظ على تماسك المجتمع.

رأى براون أن المجتمع يشبه **الكائن الحي**، حيث تؤدي كل مؤسسة وظيفة محددة تضمن بقاء الكلّ متماسكًا — وهي الفكرة التي ورثها عن المدرسة الوظيفية التي أسّسها مالينوفسكي. لكنه أضاف بعدًا أكثر تجريدًا بتحليل **البنية (Structure)** بدلًا من الفرد أو العاطفة.

مثال: في دراسته لقبائل الأندامان في المحيط الهندي، لاحظ براون أن الطقوس والعادات ليست مجرد تقاليد، بل وسائل **لضبط العلاقات الاجتماعية** وإعادة التوازن بين الأفراد والجماعات.

ثانيًا: الأنثروبولوجيا الثقافية

من روادها: فرانز بواس، مارغريت ميد، روث بنيديكت
تركّز على دراسة **الثقافة بوصفها نظامًا من الرموز والمعاني والقيم** التي تُنظم السلوك الإنساني. فبواس، في مطلع القرن العشرين، رفض فكرة أن الثقافات تمر بمراحل تطور واحدة (من البدائية إلى المدنية)، ورأى أن **لكل ثقافة منطقها الخاص وتاريخها الفريد.** ومن هنا نشأت فكرة **النسبية الثقافية**، أي أنه لا يمكن الحكم على ثقافة ما باستخدام معايير ثقافة أخرى.

مارغريت ميد درست في ساموا (جنوب المحيط الهادئ) العلاقة بين **الثقافة والتنشئة الاجتماعية**، واكتشفت أن المراهقة ليست أزمة بيولوجية كما ظن علماء الغرب، بل **تجربة ثقافية تختلف من مجتمع لآخر.**
أما **روث بنيديكت**، فقد قارنت بين ثقافات مختلفة وأظهرت أن كل مجتمع يُطوّر "نمطًا ثقافيًا" خاصًا به — فالمجتمع ليس مجرد أفراد، بل **شخصية ثقافية جماعية.**

ثالثًا: الأنثروبولوجيا الفيزيائية (أو البيولوجية)

من أبرز ممثليها: شيرود ماكجرو، ولويس ليكي، وجين غودال
تهتم هذه الشعبة بدراسة **الإنسان من منظور تطوري وبيولوجي**، فتبحث في أصول الإنسان، وتطوره، وتنوعه الجيني، وسلوكه الحيواني. وتعتمد على أدوات علمية مثل **الحفريات، ودراسة العظام، والتحليل الجيني**. لقد ساهمت هذه البحوث في فهم كيف تطور الإنسان من أسلافه الأوائل إلى الإنسان العاقل الحالي، وكيف أثّر **البيئة والمناخ** في التكيفات الجسدية والثقافية.

مثال : العالمة **جين غودال** درست سلوك الشمبانزي في تنزانيا لعقود، ولاحظت استخدامهم للأدوات وتنظيمهم الاجتماعي، مما غيّر فهمنا للفاصل بين "الإنسان" و"الحيوان." هذا يوضح كيف تلتقي **البيولوجيا** مع **الثقافة** في فهم طبيعة الإنسان.

رابعًا: الأنثروبولوجيا اللغوية

من أبرز روادها: إدوارد سابير وبنجامين وورف
تبحث في **اللغة كوسيلة للتفكير والتعبير عن الثقافة.** قدّم سابير وورف ما يُعرف بـ **فرضية النسبية اللغوية**، التي تقول إن **اللغة لا تصف الواقع فقط، بل تشكّله.** فطريقة حديثنا عن العالم تحدد كيف نراه ونفهمه.

مثال توضيحي:
بعض اللغات الإفريقية لا تحتوي على كلمة تعني ''الملكية الفردية''، مما ينعكس على تصورات أفرادها عن المشاركة والتعاون. وهذا يوضح كيف أن **اللغة ليست وسيلة تواصل فحسب، بل هي رؤية للعالم** .(Worldview)

خامسًا: التأثيرات الفكرية الجديدة

في منتصف القرن العشرين وما بعده، تأثرت الأنثروبولوجيا بمدارس فكرية متعددة، أبرزها:

◆البنيوية (كلود ليفي–شتراوس)

ربط بين الثقافة والعقل البشري، ورأى أن **البنى العميقة في التفكير الإنساني واحدة** مهما اختلفت الثقافات — مثل ثنائيات الخير والشر، الحياة والموت، الذكر والأنثى. معنى آخر، وراء تنوع الثقافات توجد **أنماط عقلية عالمية مشتركة**.

◆ما بعد الحداثة

جاءت لاحقًا لتنتقد فكرة ''العالم الموضوعي'' الذي يرصده الباحث من الخارج. أكدت أن الأنثروبولوجيا ليست فقط ''دراسة الآخر''، بل أيضًا **تفكير في الذات**، وأن الباحث جزء من عملية الفهم والتأويل.

.6 استقلال الأنثروبولوجيا عن باقي العلوم

بحلول النصف الثاني من القرن العشرين، أصبحت الأنثروبولوجيا **علماً مستقلاً بذاته** له مناهجه ومفاهيمه الخاصة، متمايزة عن الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ.
ويرجع ذلك إلى ثلاث سمات أساسية:

1المنهج الميداني والمشاركة

الميزة الأهم في الأنثروبولوجيا هي اعتمادها على **العمل الميداني الطويل والملاحظة بالمشاركة**، أي أن الباحث يعيش مع الجماعة التي يدرسها، يتعلم لغتها، ويشاركها أنشطتها اليومية. هذا الأسلوب جعل الأنثروبولوجيا **علماً تجريبياً حيّاً**، لا يعتمد فقط على النظريات، بل على **التجربة الإنسانية المباشرة**.

مثال:
برونيسلاف مالينوفسكي عاش سنوات بين سكان جزر تروبرياند، يشاركهم طقوسهم ويكتب يومياته عن حياتهم اليومية، مؤسسًا بذلك منهج ''الملاحظة بالمشاركة'' الذي أصبح حجر الأساس في البحث الأنثروبولوجي.

2التركيز على الثقافة كمنظومة كلية

ترى الأنثروبولوجيا أن الثقافة ليست مجرد تقاليد أو عادات، بل **شبكة معقدة من الرموز والمعاني والمعتقدات والسلوكيات** التي تشكّل رؤية الإنسان للعالم. ولهذا فهي تدرس الإنسان بوصفه **كائناً رمزياً** يعيش في عالم من المعاني لا يقل أهمية عن عالم المادة.

مثال تطبيقي: دراسة الطقوس الدينية أو حفلات الزواج ليست فقط لوصف ما يحدث، بل لفهم ما **يرمز إليه السلوك** — كالتعبير عن الانتماء أو التضامن أو الهوية الجماعية.

3شمولية النظرة إلى الإنسان :تهتم الأنثروبولوجيا بكل جوانب الإنسان:

- الجسدية (البيولوجية)
- النفسية
- الاجتماعية
- الرمزية والثقافية

ولهذا تُعد أكثر العلوم الاجتماعية شمولاً، لأنها لا تدرس الإنسان في بعد واحد، بل **في كليّته**.

خلاصة تعليمية

القرن العشرون هو مرحلة **نضوج الأنثروبولوجيا** وتحولها من ''علم عن الآخر'' إلى **علم لفهم الإنسان في ذاته وتنوعه**.
فهي اليوم علم يعترف بالاختلاف، ويقدّر الثقافة بوصفها تعبيرًا عن العبقرية الإنسانية في أشكالها المتعددة.

المرحلة التاريخية	الإطار الزمني التقريبي	أبرز المفكرين / العلماء	السمات الفكرية والمنهجية	المفاهيم / الاتجاهات الأساسية	أمثلة تطبيقية وشروح
1.البدايات الفلسفية	من القرن 5 ق.م إلى القرن 15م	هيرودوت – أفلاطون – أرسطو – ابن خلدون	تساؤلات فلسفية وأخلاقية حول الإنسان والمجتمع – غياب المنهج العلمي – البحث في طبيعة الإنسان وعلاقته بالكون	مفهوم "العمران البشري" ابن خلدون – ''المجتمع المثالي'' أفلاطون – ''الوصْف الإثنوغرافي'' هيرودوت	✳ *هيرودوت* وصف عادات المصريين والفرس ← أول محاولة لوصف ثقافات ميدانيًا ✳ *.ابن خلدون* فسر العصبية والتغير الاجتماعي ← مقدمة للفكر الاجتماعي الحديث.
2.عصر	القرن	مونتاني – جان	توسع أوروبي واكتشاف	مفهوم ''الإنسان	✳ *روسو* :الإنسان

الاكتشافات والرحلات	15–18م	جاك روسو – الرحالة الأوروبيون	شعوب جديدة – بداية المقارنة بين الثقافات – وعي بفكرة "الآخر"	الطبيعي" – المساواة الثقافية – النقد الأخلاقي للحضارة الغربية	الفطري يعيش بتوازن مع الطبيعة قبل أن تفسده المدنية . □ ✳*مونتاني* :اختلاف العادات لا يعني التفوق أو التخلف.
.3مرحلة التأسيس العلمي	القرن 19م	إدوارد تايلور – لويس مورغان – فرانز بواس – برونيسلاف مالينوفسكي	ظهور المناهج العلمية – الملاحظة الميدانية – دراسة الثقافة كظاهرة إنسانية	**-التطور الثقافي** تايلور، مورغان – **النسبية الثقافية** بواس **-الوظيفية** مالينوفسكي	□ ✳*تايلور* :الثقافة هي كل مركّب من المعرفة والعقيدة والفن والعرف □ ✳ . *مالينوفسكي* :كل عنصر ثقافي يؤدي وظيفة اجتماعية.
.4مرحلة التخصص والانفتاح المنهجي	القرن 20م	رادكليف براون – مارغريت ميد – كلود ليفي-شتراوس – روث بنيديكت	تنوّع فروع الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الثقافية، الفيزيائية، اللغوية – اعتماد التحليل البنيوي والرمزي	-البنيوية ليفي-شتراوس – النسبية الثقافية ميد وبنيديكت – الدراسة المقارنة للثقافات	□ ✳*ليفي-شتراوس* : الأساطير تعبّر عن بنى عقلية عالمية مشتركة □ ✳ . *مارغريت ميد* :درست المراهقة في ساموا لفهم تأثير الثقافة على السلوك.
.5مرحلة النقد والتجديد	من النصف الثاني للقرن 20 إلى القرن 21	كليفورد غيرتز – بيير بورديو – لورا نادر – شيرلي أوردنر	نقد الذات الأنثروبولوجية – إعادة التفكير في علاقة الباحث بالمبحوث – التركيز على الرموز والمعاني	-الأنثروبولوجيا التأويلية غيرتز – المقاربة النقدية لما بعد الحداثة- تفكيك المركزية الغربية	□ ✳*غيرتز* :الثقافة شبكة من المعاني ينسجها الإنسان بنفسه □ ✳ .*بورديو* :طرح مفهوم "الهابيتوس" لفهم الممارسات الاجتماعية.
.6مرحلة العولمة والتحول الرقمي	القرن 21	أرغون أبادوراي – دانا بويد – توماس إريكسن	توسع الأنثروبولوجيا نحو دراسة المجتمعات الرقمية والهجرة والعولمة – الأنثروبولوجيا الحضرية والافتراضية	-أنثروبولوجيا العولمة- أنثروبولوجيا الإنترنت- دراسة الهويات الرقمية	□ ✳ دراسة المجتمعات الافتراضية مثل فيسبوك أو تيك توك ك"حقول ميدانية رقمية" تعكس ثقافات جديدة.

الفكر الإسلامي في العصور الوسطى

شهدت الحضارة الإسلامية إسهامات بارزة في دراسة المجتمعات والثقافات .يُعد **عبد الرحمن بن خلدون** القرن الرابع عشر الميلادي من أبرز المفكرين الذين قدموا تحليلات عميقة للمجتمعات البشرية .في مقدمته الشهيرة، وضع ابن خلدون أسس علم العمران البشري، الذي يُمكن اعتباره سلفًا لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا .لقد درس ابن خلدون الظواهر الاجتماعية مثل العصبية، ونشأة الدول وسقوطها، وتأثير البيئة على المجتمعات، مؤكدًا على أهمية الملاحظة والتحليل التاريخي .[2]

"اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش] ".ابن خلدون، المقدمة[

عصر الاستكشافات الأوروبية

مع بداية عصر الاستكشافات الجغرافية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، زاد اهتمام الأوروبيين بالشعوب والثقافات غير الأوروبية .قام الرحالة والمبشرون والمستكشفون بتدوين ملاحظاتهم حول أنماط الحياة، والمعتقدات، والأنظمة الاجتماعية للشعوب الأصلية في الأمريكتين وأفريقيا وآسيا .هذه التقارير، وإن كانت غالبًا ما تكون متحيزة أو غير دقيقة، إلا أنها وفرت كمًا هائلاً من البيانات التي أثارت تساؤلات حول طبيعة الإنسان والتنوع الثقافي .[3]

الأنثروبولوجيا كعلم مستقل :القرن التاسع عشر

تُعتبر الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين هي المرحلة التأسيسية للأنثروبولوجيا كعلم أكاديمي مستقل .تأثرت هذه الفترة بشكل كبير بنظرية التطور البيولوجي لداروين، مما دفع الباحثين إلى تطبيق الأفكار التطورية على دراسة المجتمعات والثقافات البشرية.

المدرسة التطورية Evolutionism

كانت المدرسة التطورية هي الاتجاه النظري السائد في بدايات الأنثروبولوجيا .افترض رواد هذه المدرسة أن جميع المجتمعات البشرية تمر بمراحل تطورية متسلسلة من البساطة إلى التعقيد .من أبرز شخصيات هذه المدرسة:

- **إدوارد بيرنت تايلور** : 1832-1917 **Edward Burnett Tylor**يُعتبر الأب المؤسس للأنثروبولوجيا الثقافية .قدم تايلور أول تعريف شامل للثقافة في كتابه "الثقافة البدائية Primitive Culture "عام 1871، حيث عرفها بأنها:

- *"ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات المكنات التي يكتسبها الفرد باعتباره عضواً في المجتمع[4] ".*

- ركز تايلور على دراسة تطور الأديان من الأرواحية إلى التوحيد، واعتبر أن الثقافة تتطور بشكل خطي.
- **لويس هنري مورغان** : 1818-1881 **Lewis Henry Morgan** اشتهر بدراساته عن أنظمة القرابة والمجتمعات الأمريكية الأصلية .في كتابه "المجتمع القديم Ancient Society "عام 1877، قسم مورغان التطور البشري إلى ثلاث مراحل رئيسية :الوحشية، والبربرية، والحضارة، معتمدًا على التكنولوجيا وأنظمة القرابة كمعايير للتصنيف [5].

- | المرحلة التطورية | الخصائص الرئيسية

* **الأنثروبولوجيا الاجتماعية في بريطانيا** :تطورت الأنثروبولوجيا الاجتماعية في بريطانيا مع التركيز على دراسة البناء الاجتماعي والنظم الاجتماعية .من أبرز روادها:

- **ألفرد رادكليف براون** : 1881-1955 **A.R. Radcliffe-Brown** ركز على مفهوم **البناء الاجتماعي** وكيفية عمل النظم الاجتماعية للحفاظ على الاستقرار الاجتماعي .عرف البناء الاجتماعي بأنه "شبكة من العلاقات الاجتماعية الفعلية التي تقوم بين سائر الأشخاص في المجتمع.[6] "
- **إيفانز بريتشارد** : 1902-1973 **E.E. Evans-Pritchard** أسهم في تطوير المنهج الإثنوغرافي، وركز على فهم النظم السياسية والدينية في المجتمعات الأفريقية، مثل دراسته الشهيرة عن "النوار.[7] Nuer "

الأنثروبولوجيا الثقافية في الولايات المتحدة

في الولايات المتحدة، تطورت الأنثروبولوجيا الثقافية تحت تأثير **فرانز بواس** 1858-1942 **Franz Boas** ، الذي يُعتبر أب الأنثروبولوجيا الأمريكية .عارض بواس الحتمية التطورية، ودعا إلى المنهج **التاريخي الخاص** Historical Particularism ، مؤكدًا على أن كل ثقافة لها تاريخها الفريد الذي يجب دراسته في سياقه الخاص .كما شدد على أهمية **النسبية الثقافية** Cultural Relativism وضرورة فهم الثقافات من وجهة نظر أفرادها .[8]

من أبرز تلامذة بواس الذين أسهموا في تطوير الأنثروبولوجيا الثقافية:

- **مارغريت ميد** : **Margaret Mead**اشتهرت بدراساتها عن التنشئة الاجتماعية والجنس في ساموا وغينيا الجديدة.
- **روث بندكت** : **Ruth Benedict**ركزت على العلاقة بين الثقافة والشخصية، وقدمت مفهوم "نمط الثقافة " Pattern of Culture .

فروع الأنثروبولوجيا الرئيسية

:تطورت الأنثروبولوجيا لتشمل عدة فروع رئيسية، تعكس اتساع نطاق دراستها للإنسان

1 **الأنثروبولوجيا الطبيعية الفيزيقية** : تدرس التطور البيولوجي للإنسان، والتنوع البشري، وعلم الوراثة، وعلم الرئيسيات.

2 **الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**: تُعد الفرع الأوسع، وتدرس النظم الاجتماعية، والعادات، والتقاليد، والمعتقدات، والفنون، واللغة، والاقتصاد، والسياسة في المجتمعات البشرية [9].

3 **الأنثروبولوجيا اللغوية**: تركز على دراسة اللغة في سياقها الثقافي والاجتماعي، وكيف تؤثر اللغة في الفكر والسلوك.

4 **الأنثروبولوجيا الأثرية**: تدرس الثقافات البشرية الماضية من خلال تحليل البقايا المادية الآثار التي خلفها الإنسان.

المنهج الإثنوغرافي

وهو عبارة عن دراسة وصفية تحليلية في الميدان لعادات وأعراف شعوب محددة [10]. يُعد **المنهج الإثنوغرافي** الأداة الأساسية للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. يعتمد هذا المنهج بشكل كبير على:

- **الملاحظة بالمشاركة Participant Observation** : حيث ينغمس الباحث في المجتمع الذي يدرسه، ويشارك في أنشطته اليومية لفترة طويلة، بهدف فهم الثقافة من الداخل [11].
- **المقابلات المتعمقة**: لإجراء حوارات مع أفراد المجتمع لجمع معلومات حول وجهات نظرهم وخبراتهم.
- **تحليل الوثائق**: مثل السجلات التاريخية، واليوميات، والمواد الثقافية.

> *"ما ثقافة هؤلاء الناس؟ وهل يفترض أن أي مجموعة من البحث الإثنوغرافي يعنى بالثقافة بشكل خاص، فسؤاله الدائم هو: الناس تعيش مع بعضها لفترة زمنية معينة ستكون ثقافة معينة خاصة بها؟ وما انعكاسات هذه الثقافة على تشكيل سلوكهم، وممارساتهم الحياتية، ونظرتهم إلى الواقع الاجتماعي والثقافي الذي يعيشون فيه." [نقلاً عن باتون، [12]]*

خاتمة

لقد تطورت الأنثروبولوجيا من مجرد ملاحظات عابرة للشعوب الأخرى إلى علم أكاديمي صارم، يهدف إلى فهم التعقيد البشري بكل أبعاده. من هيرودوت وابن خلدون، مرورًا بالمنظرين التطوريين، وصولًا إلى رواد الأنثروبولوجيا الحديثة، استمر هذا العلم في التوسع والتعمق، ليقدم رؤى قيمة حول التنوع الثقافي والوحدة الإنسانية. تظل الأنثروبولوجيا حجر الزاوية في فهمنا للعالم المعاصر، وتحدياته، وإمكانياته.

المراجع

[1] هيرودوت. *تاريخ هيرودوت*. القرن الخامس قبل الميلاد. مُشار إليه في مقال "نشأة الأنثروبولوجيا" موضوع.كوم.: https://mawdoo3.com/%D9%86%D8%B4%D8%A3%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن. *المقدمة*. القرن الرابع عشر الميلادي. مُشار إليه في مقال "تاريخ علم الإنسان" ويكيبيديا.: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86

[3] "نشأة الأنثروبولوجيا" مُشار إليه في مقال ، موضوع.كوم: https://mawdoo3.com/%D9%86%D8%B4%D8%A3%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7

[4] تايلور، إدوارد بيرنت. 1871. *الثقافة البدائية*. مُشار إليه في "مطبوعة الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية"، جامعة الجزائر 3، ص 74: https://www.univ-alger3.dz/wp-content/uploads/2022/06/%D9%85%D8%B7%D8%A8%D9%88%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9

%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-
%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-
%D9%88-
%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9.pdf

[5] مورغان، لويس هنري. 1877. *المجتمع القديم*. ويكيبيديا"تاريخ علم الإنسان"مُشار إليه في مقال :، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86

[6] براون، ألفرد ريجنالد-رادكليف. 1923 . "مطبوعة الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية"مُشار إليه في ، 3 ، جامعة الجزائر ص56:https://www.univ-alger3.dz/wp-content/uploads/2022/06/%D9%85%D8%B7%D8%A8%D9%88%D8%B9%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-
%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-
%D9%88-
%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9.pdf

[7] بريتشارد، إدوارد إي-إيفانز. "مطبوعة الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية"مُشار إليه في ، ص 3، جامعة الجزائر 57:https://www.univ-alger3.dz/wp-content/uploads/2022/06/%D9%85%D8%B7%D8%A8%D9%88%D8%B9%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-
%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-
%D9%88-
%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9.pdf

[8] بواس، فرانز. "تاريخ علم الإنسان"مُشار إليه في مقال ، ويكيبيديا:https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86

[9] "مطبوعة الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية"مُشار إليه في ، ص 3، جامعة الجزائر 50و 64:https://www.univ-

alger3.dz/wp-content/uploads/2022/06/%D9%85%D8%B7%D8%A8%D9%88%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9.pdf

[10] مُشار إليه في "مطبوعة الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية"، جامعة الجزائر 3، ص 81:https://www.univ-alger3.dz/wp-content/uploads/2022/06/%D9%85%D8%B7%D8%A8%D9%88%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9.pdf

[11] مُشار إليه في "مطبوعة الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية"، جامعة الجزائر 3، ص 90-91:https://www.univ-alger3.dz/wp-content/uploads/2022/06/%D9%85%D8%B7%D8%A8%D9%88%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9.pdf

[12] باتون. مُشار إليه في "مطبوعة الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية"، جامعة الجزائر 3، ص 82:https://www.univ-alger3.dz/wp-content/uploads/2022/06/%D9%85%D8%B7%D8%A8%D9%88%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9

%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-
%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-
%D9%88-
%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9.pdf